في غاية الامتنان

– لا أعرف ماذا أصنع.. لقد سرقت!

– ماذا تقول؟ سرقت ؟

– نعم سرقت .. سُرِقَتْ حافظة نقودي.

– وأين أنت الآن؟

– أنا عند مطعم الواحة بجوار تمثال الجندي المجهول.

– سآتيك حالا.

– لا تتأخر يا صديقي أنا لا أعرف أحدًا في هذه المدينة و ...

– لن أتأخر.. مسافة الطريق، إلى اللقاء.

نظر سعيد إلى ساعته كانت تقترب من العاشرة مساءً، لم يكن يدري كيف سيخرج من هذه الورطة، فهو غريب عن هذه البلدة، ونقوده كلها في حافظته التي سرقت، وبطاقة هويته أيضًا، لا

يعرف كيف سيقطع كل تلك المسافة بدون هوية في هذه الأجواء العصيبة التي تمر بها البلاد. ربما توقفه دورية أو يسأله ضابط في كمين عن هويته، وإذا قال له إنها سرقت ربما لا يصدقه، ويقبض عليه شكا فيه، وحينئذٍ لا يعلم إلا الله متى سيرى النور من جديد، لديه زوجة وأبناء في بلدته البعيدة، ماذا يصنعون إذا غاب عنهم؟ كيف يعيشون؟ يا لها من مأساة!

تلفت يمينا ويسارًا بحثًا عن صديقه ماجد.

– يا إلهي! لقد تأخر .. والوقت يمضي، هل علي أن أذهب إلى قسم الشرطة؟! ولكن كيف أذهب وليس معي من مال؟! ها هو .. ها هو ماجد يقطع الطريق.

أقبل على صديقه ملوّحًا حتى اقترب منه.

– أرأيت يا ماجد ما حدث لي .. كنت واقفا عند الكاشير لأدفع الحساب وإذا حافظتي في خبر كان، بحثت عنها في كل مكان فلم أجدها، لقد سُرِقَتْ .. سرِقَتْ، كيف سأعود إلى بلدي الآن؟!

– اهدأ يا سعيد كل مشكلة ولها حل، سآخذك الآن إلى قسم الشرطة لنعمل محضر سرقة وبهذا المحضر تستطيع أنْ تعود إلى بلدك وتستخرج بطاقة هوية جديدة.

– إذن هيا بنا.

***

في قسم الشرطة جلس سعيد منتظرًا الضابط الذي سيحرر له المحضر، كان مشغولًا بمكالمة هاتفية، وقبل أن ينتهي منها كان هناك رجل مسن يقترب منه قائلا:

– أريد أن أحرر محضر سرقة.

تعجب سعيد ووقف على قدميه، واقترب من الرجل والضابط وقال:

– وأنا كذلك.

أشار الضابط إليهما أن ينتظرا، وقد بدا على وجهه علائم الاهتمام بكلام محدثه، حتى رد عليه بعبارة مقتضبة:

– تمام .. تمام .. سأراعي ذلك.

وبينما هو يغلق الخط إذا بالرجلين معًا يقولان:

– لقد سُرِقْتُ.

نظر الضابط إليهما بريبة وقال:

– أأنتما معًا؟

قال المسن في ضيق:

– لا يا سيدي أنا لا أعرفه.

– وأين سُرِقْتَ؟

– عند مطعم الواحة في ميدان الجندي المجهول.

صاح سعيد:

– وأنا أيضًا.

صرخ فيه الضابط:

– اسكت أنت، واجلس هناك حتى أنتهي من هذا الرجل.

– حاضر .. حاضر.

عاد سعيد إلى مقعده وقد داخله شعور بالارتياح، إذا كان هذا الرجل قد سرق في المكان نفسه فلابد أن هناك لصًّا معروفًا ستمسك به الشرطة وترد لي حافظتي.

مال إلى ماجد وهو يقول:

– الحمد لله هناك رجل آخر سرق في نفس المكان.

– ولماذا تحمد الله على ذلك؟

– هذا سيجعل الشرطة تنشط في البحث عن اللص.

– وما أدراك .. هناك الكثير مما يشغل الشرطة هذه الأيام.

– لكن أليس أمن الناس على أنفسهم وأموالهم أولى ما تشتغل به الشرطة؟!

– بالطبع .. بالطبع.

– ماجد .. أنت صديق وفي، لقد أنزلتك من بيتك في هذا البرد القارس، وأخذتك ..

– لا تقل هذا الكلام يا سعيد، الصديق – كما يقولون – وقت الضيق.

– أنا ممتن لك كثيرًا، ولا أريد أن أثقل عليك .. لكن هل لي أن أقترض منك بعض المال أعود به إلى بلدي، وسأرده لك حينما أقبض إنْ شاء الله.

– طبعًا يا أخي، لم أكن لأتركك بلا مال.

– شكرًا لك .. شكرًا لك.

– يبدو أنَّ الضابط يريدك.

نهض سعيد مسرعًا نحو الضابط الذي أشار إليه أن يجلس أمام مكتبه، ففعل، سأله الضابط:

– ما الذي سُرِقَ منك؟

– حافظة نقودي.

– وماذا كان فيها؟

– كان فيها ألف جنيه وهويتي ووصفة طبية.

– وكم كانت الساعة؟

– حوالي التاسعة والنصف ..

– حسنًا .. هل تعرف من سرقك؟

تعجب سعيد من السؤال، لكنَّه أجاب بتلقائية:

– بالطبع لا.

– فما الدليل على أنك سُرِقْت؟

ازداد عجبه، وافتر ثغره عن ابتسامة بلهاء قبل أن يقول:

– أنا كنت واقفا عند الكاشير وكانت المحفظة في جيبي ثم أردت أنْ أخرجها لأدفع للرجل فلم أجدها .. بالتأكيد سُرِقَتْ.

– وما الذي يجعلك متأكدًا هكذا؟

– يا سيدي لقد بحثت عنها في كل مكان، لو كانت وقعت على الأرض مثلا لكنت وجدتها، فأين ذهبت هل طارت؟ أو تبخرت؟

– وماذا تريد الآن؟

– أريد أن أعمل محضر سرقة.

– لا .. لا .. إذا أردت أن تعمل محضر سرقة فعليك أن تذكر لي السارق.

– يا للعجب! ولو عرفتُ السارق أكنتُ أتركه؟!

– لا شأن لي .. إما أنْ تحضر السارق أو ..

– أو ماذا؟ وإذا كنت أنا من يحضر السارق فما وظيفتكم أنتم؟

– إذا لم تكن تعرف من سرقك فلن أعمل لك محضر سرقة.

– وما الحل؟

– يمكن أنْ أعمل لك محضر فَقْدٍ إنْ أردت.

– ولكنَّ الفَقْدَ فيه إهمال مني، وأنا سُرِقْتُ، لم أفقد الحافظة بسبب منِّي.

– ولِمَ لَمْ تحافظ عليها من السرقة؟ أليس هذا إهمالا أيضًا؟

– يا إلهي! ماذا أصنع؟!

وقعت عينه على صديقه الجالس بعيدًا، فلمعت عينه وهو يقول:

– ما باليد حيلة.

وضرب فخذه بكفه وهو يقوم إليه قائلًا للضابط:

– دقيقة واحدة من فضلك.

أقبل على ماجد مبتسمًا:

– صديقي الحبيب هل يمكنك أن تعطيني المال الذي وعدتني به الآن؟

– سأعطيك إياه عندما نخرج.

– أَهُوَ معك؟

– أجل.

– إذن ليتك تتكرم به.

أخرج ماجد من حافظته مبلغًا كبيرًا وأعطاه صديقه، وهو يقول:

– هل انتهيت من المحضر؟

– دقائق يا صديقي ..

واتجه سعيد إلى الضابط وبعد أن خطا خطوتين التفت إلى ماجد قائلًا:

– نحن أصدقاء، والصديق وقت الضيق.

ابتسم له ماجد ولم يفهم لم يقول ذلك الآن.. لعله يريد أن يشعره بالامتنان، بينما كان سعيد بين يدي الضابط يقول له:

– حسنًا أيها الضابط .. تريدني أن أخبرك باسم السارق، إذن افتح المحضر واكتب.

أخذ الضابط يدوّن بيانات المحضر حتى أتى إلى اسم السارق، فقال لسعيد:

– ها .. من؟

أجابه وهو ينظر إلى صديقه مبتسمًا:

– ماجد أحمد رحمي.

– وأين يسكن ماجد هذا؟

– إنه هناك سعادة الضابط ..

– أين؟

– هناك .. الجالس هناك ذو السترة السوداء.

صاح الضابط صيحة المنتصر، يا عسكري اقبض على ذلك الرجل .. لا يفلت منك، في ثوان كانت القيود قد كبلت يدي ماجد وكان الذهول قد كبل ذهنَه، لا يدري ما جرمه؟ ماذا حدث؟

نادى على صديقه في لهفة:

– سعيد .. يا سعيد! ماذا حدث؟! ألا تراهم كبلوني؟

– هذه عقوبة السارق.

– السارق! أي سارق؟

اقترب سعيد من ماجد، وقال له بصوت خفيض:

– معذرة يا صديقي لم يترك لي الضابط خيارًا، كان لابد أن أضحي بك.

– تضحي بصديقك الذي وقف بجانبك؟! أهذا جزائي؟!

– لا تلمني أنا.. لم القانون العجيب الذي يحكمنا..

– وأين المروءة؟!

– قتلها الفساد، ولكنني مع هذا يا صديقي في غاية الامتنان لك!

***

تمت